

التفسير المحرر 12-10112-1.0

وما مِن دَابَّةٍ تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا وَقَد تَّكَلَّمَ اللَّهُ بِرِزْقِهَا،
وَيَعْلَمُ اللَّهُ مَآوَاهَا، وَالْمَوْضِعَ الَّذِي تَمُوتُ فِيهِ أَوْ تُدْفَنُ، وَتَفَاصِيلُ
ذَلِكَ مُثَبَّتَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ
عَرْشُ اللَّهِ عَلَى الْمَاءِ مِنْ قَبْلُ، فَخَلَقَ الْكَوْنَ لِيَخْتَبِرَكُمْ، فَيَنْظُرَ
أَيْكُمْ أَحْسَنُ طَاعَةً لَهُ. وَلَئِنْ تَلَوْتَ الْقُرْآنَ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى
الْمُشْرِكِينَ لِإِخْبَارِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُهُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ؛ لَيَقُولُنَّ:
مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا سِحْرٌ وَاضِحٌ!

وَلَئِنْ أَخْرَنَّا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَذَابَ إِلَى مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ؛
لَيَقُولُنَّ تَكْذِيبًا وَاسْتَهْزَاءً: مَا الَّذِي يَحْبِسُ عَنَّا الْعَذَابَ إِنْ كَانَ
حَقًّا؟! إِنَّهُ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَا يَزِدُّهُ شَيْءٌ، وَسَيَنْزِلُ بِهِمْ هَذَا الْعَذَابُ
الَّذِي اسْتَعْجَلُوهُ لَا مُحَالَةَ.

وَلَئِنْ أَعْطَيْنَا الْإِنْسَانَ مَنَّا نِعْمَةً فَوَجَدَ لَدَنَّا، ثُمَّ سَلَبْنَاهَا مِنْهُ؛
يَظَلُّ شَدِيدَ الْيَأْسِ مِنْ عَوْدَةِ الْخَيْرِ لَهُ، جَحُودًا لِنِعْمِ اللَّهِ، قَلِيلَ
الشُّكْرِ لَهُ.

وَإِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ نِعْمَةً بَعْدَ ضِيقٍ، لَيَقُولُنَّ: ذَهَبَ الضِّيقُ
عَنِّي، وَلَنْ يُصِيبَنِي مَجْدَدًا! إِنَّهُ لَشَدِيدُ الْفَرَحِ بِنِعَمِ اللَّهِ، فَخَوْرٌ عَلَى
غَيْرِهِ بِهَا، وَلَا يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَيَنْسَى تَقْلِبَاتِ الدُّنْيَا، وَيَنْسَى
طَلَبَ نَعِيمِ الْآخِرَةِ.

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا عِنْدَ الضَّرَّاءِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي
السَّرَّاءِ، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لِدُنُوبِهِمْ، وَلَهُمْ جَزَاءٌ كَبِيرٌ.

فَلَعَلَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- تَارِكٌ تَبْلِيغِ قَوْمِكَ بَعْضَ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ
مِنَ الْقُرْآنِ، وَضَائِقٌ صَدْرُكَ بِتَبْلِيغِهِمْ؛ كَرَاهَةً أَنْ يَقُولُوا: هَلَّا
أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ، أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ؛ لِنُؤْمِنَ بِهِ! فَاصْبِرْ، وَاسْتَمِرَّ

في دَعْوَتِهِمْ، إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ لِقَوْمِكَ مِنْ عِقَابِي، وليس عليك إتيانهم بما يَقْتَرِحُونَ مِنَ المعجزات، والله على كُلِّ شَيْءٍ قَيِّمٌ، وحافظُ فتوكلٍ عليه.

أَمْ يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: افترى مُحَمَّدٌ الْقُرْآنَ، وليس هو من عندِ اللَّهِ؟! قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدُ-: إِنْ كُنْتُ افْتَرَيْتُهُ، فَأَتُوا أَنْتُمْ بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُخْتَلَفَاتٍ، وادْعُوا مَنْ تَسْتَطِيعُونَ دَعْوَتَهُ، مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَالْهَيْكَمِ الْمَزْعُومَةِ؛ لِإِعَانَتِكُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَلِّي افْتَرَيْتُ الْقُرْآنَ.

فَإِنْ لَمْ يَخْتَلِفُوا عَشْرَ سُورٍ مِثْلَ الْقُرْآنِ فَاعْلَمُوا -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، مُشْتَمَلًا عَلَى عِلْمِهِ، وَمُتَّضِعًا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْتَسْلِمُونَ وَمُقَادُونَ لِلَّهِ؟ مَنْ كَانَ يَقْصِدُ بِسَعْيِهِ وَأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، نُعِطْهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِ فِيهَا كَامِلًا، كَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا يَنْقُصُهُمُ اللَّهُ ثَوَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

أُولَئِكَ لَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ، وَيَبْطُلُ مَا عَمِلُوهُ مِنَ الصَّالِحَاتِ، فَلَا يُثَابُونَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَيَبْطُلُ مَا عَمِلُوهُ مِنَ الْخَيْرِ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَلَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَهُ.

أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَيَتَّبِعْهُ شَاهِدٌ آخَرٌ مِنَ اللَّهِ يُوَافِقُ هَذِهِ الْبَيِّنَةَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَشَاهِدٌ آخَرٌ مِنْ قَبْلِهِ، وَهُوَ التَّوْرَةُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ؛ يَأْتُمُونَ بِهَا وَيَتَّبِعُونَهَا، وَتَكُونُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِهِمْ، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ حَقًّا، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَلِّ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَا تَشْكُ -يَا مُحَمَّدُ- فِي أَنَّ الْقُرْآنَ مُنْزَلٌ مِنَ

عندِ الله، وأنَّ مَنْ كَذَّبَ به فالنَّارُ مَوْعِدُهُ، إِنَّ القرآنَ حقٌّ من رَبِّكَ، ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ بذلك.

لا أَحَدَ أَظْلَمَ ممَّنِ اخْتَلَقَ على الله الكَذِبَ، أولئك يُعَرِّضُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ على الله، فيُحَاسِبُهُمْ، ويُجَازِيهِمْ، ويقولُ الملائكةُ والأنبياءُ والمؤمنونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هؤلاء الَّذِينَ كَذَّبُوا على رَبِّهِمْ، أَلَا سَخَطُ اللهِ الدَّائِمُ وإِبعادهُ من رَحْمَتِهِ، على الظَّالِمِينَ.

أولئك الظَّالِمُونَ يَرْتُدُّونَ النَّاسَ عن دينِ الله، ويُرِيدُونَ أن يكونَ دينُ الله زائغًا عن الحَقِّ، ويُنْفِرُونَ النَّاسَ عنه، ويُزَيِّنُونَ لهم الباطلَ، والحالُ أَنَّهُمْ مَكْذُوبُونَ بيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أولئك لا يُعْجِزُونَ اللهَ في الأرضِ بالهَرَبِ إن أرادَ عذابَهُمْ، وليس لهم أنصارٌ من دونِ الله يَنْصُرُونَهُمْ، وَيَدْفَعُونَ عَنْهُمْ عذابَهُ، بل يُزَادُ في عذابِهِمْ، إنهم ما كانوا يستطيعونَ سَماعَ الحَقِّ سماعًا يَنْفَعُهُمْ، ولا يُبْصِرُونَهُ إِبْصارًا يَفِيدُهُمْ. أولئك أَضَاعُوا حَظَّ أَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّوَابِ، وأَهْلَكُواها بِالْعَذَابِ، واضْمَحَلَّ ما كانوا يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وبَطَلَ كَذِبُهُمْ على الله، وَذَهَبَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ فلم تَنْفَعَهُمْ.

حقًّا وَصِدْقًا أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هم أَخْسَرُ النَّاسِ؛ لاسْتِبدالِهِمْ ذَرَكَاتِ النَّارِ بِمَنَازِلِ الْجَنَّةِ.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وتَوَاضَعُوا لله وَخَشَعُوا واطْمَأْنَأُوا إِلَيْهِ، أولئك أَهْلُ الْجَنَّةِ، يُقِيمُونَ فيها أَبَدًا.

مِثْلُ الْكَافِرِينَ كَمَنْ لا يَرى ولا يَسْمَعُ، ومِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَنْ يَرى وَيَسْمَعُ؛ فَالْكَافِرُ لا يَرى الحَقَّ رُؤيةً يَهْتَدِي بِهَا، ولا يَسْمَعُ

الحَقَّ سَمَاعًا يَنْتَفِعُ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ بَعَكِسَ ذَلِكَ، فَهَلْ يَسْتَوِي
الْفَرِيقَانِ؟! أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ذَلِكَ، فَتَتْرَكُوا الْكُفْرَ وَالْعِصْيَانَ؟
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي نَذِيرٌ
ظَاهِرٌ النَّذَارَةِ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ بَقِيتُمْ عَلَى شِرْكِكُمْ.
أَرْسَلْنَاهُ إِلَى قَوْمِهِ بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُؤَلِّمٍ.

فَقَالَ الْأَشْرَافُ الْكَفَّارُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ: مَا نَرَاكَ إِلَّا أَدْمِيًّا مِثْلَنَا،
وَلَسْتَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَكَيْفَ يُرْسِلُكَ اللَّهُ مِنْ دُونِنَا؟! وَمَا اتَّبَعَكَ
عَلَى دِينِكَ إِلَّا ضُعَفَاؤُنَا وَسَفَلَاتُنَا فِيمَا يَظْهَرُ لَنَا وَلِغَيْرِنَا، وَمَا نَرَى
أَنْ لَكُمْ مَزِيَّةً عَلَيْنَا، فَتَسْتَحِقُّوا اتِّبَاعَنَا لَكُمْ، بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ فِيمَا
تَدَّعُونَ

قَالَ نُوحٌ: يَا قَوْمِ أَخْبِرُونِي إِنْ كُنْتُ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ، وَبُرْهَانٍ
عَلَى صِدْقِي، وَرَزَقَنِي اللَّهُ النُّبُوَّةَ، فَمُنْعَتُمْ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ عَقُوبَةً
لَكُمْ، أَنْغَصِبُكُمْ عَلَى التَّصَدِيقِ بِهَا وَاتِّبَاعِهَا، وَالْحَالُ أَنْكُمْ
تَكْرَهُونَهَا، وَتَتَفَرَّغُونَ مِنْهَا؟!!

وَيَا قَوْمِ لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَجْرَةً لِي عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا
أَجْرِي عَلَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَمَا أَنَا بِمُقْصِ الضُّعْفَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ؛ لِاحْتِقَارِكُمْ لَهُمْ، إِنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى اللَّهِ، فَيَسْأَلُهُمْ عَنْ
أَعْمَالِهِمْ، لَا عَنْ شَرَفِهِمْ وَحَسَبِهِمْ، وَيُثَبِّتُهُمْ عَلَيْهَا، وَيُجَازِي مَنْ
ظَلَمَهُمْ، وَلِكِنِّي أُرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ مَا تَنْبَغِي مَعْرِفَتُهُ، فَمِنْ
جَهْلِكُمْ سَأَلْتُمُونِي طَرْدَهُمْ، وَهُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ.

قَالَ نُوحٌ: وَيَا قَوْمِ مَنْ يَمْنَعُنِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُ
الْمُؤْمِنِينَ فَعَاقَبَنِي؟ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ، فَتَنْتَهَوْا عَنْ ضَلَالِكُمْ؟

ولا أقول لكم: عندي خزائن رزق الله، فأتصرف فيها، ولا أدعي أنني أعلم ما غاب من السرائر، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، ولا أقول: إنني ملك، بل أنا بشر أبلغكم ما أرسلني الله به، ولا أقول عن المؤمنين الذين تحتقرهم أعينكم: لن يعطيهم الله ثوابهم على إيمانهم، الله أعلم بما في قلوبهم من اعتقادات ونيات، إنني إن ادعيت أن الله لن يوتيهم خيراً، وأنهم يظهرون غير ما يبطنون، وطردتهم- لمن المعتدين على أمر الله تعالى. قال المشركون من قوم نوح: قد حاجبنا، فأكثرنا حاجبنا، وبالغت فيها، فعجل لنا العذاب، إن كنت من الصادقين في دعواك.

قال نوح لقومه: إنما يأتيكم بالعذاب الله وحده، إن شاء إهلاككم، ولستم بفانتين الله بالهرب من عقابه، ولا قدرة لكم على دفع عذابه.

ولا ينفعكم ما أبدله لكم من نصيح إن كان الله يريد أن يضللكم، ويوقع الغواية في قلوبكم بسبب عنادكم، هو ربكم المتصرف في أموركم، وإليه وحده تصيرون بعد موتكم، فيجازيكم. أم يقول مشركو قومك -يا محمد -: اختلق محمد هذا القرآن، واختلق قصة نوح؟! فقل لهم: إن فعلت ذلك فذنبه علي وحدي، وأنا بريء مما تُدّنبون من الكفر والكذب على الله، والتكذيب بالحق.

وأوحى الله إلى نوح أنه لن يؤمن بالحق ويتبعه من قومك إلا من آمن من قبل، فلا تحزن بما كان يفعله قومك من ضلال، ولا يهمنك أمرهم؛ فإنني مهلكهم.

واصْنَعِ السَّفِينَةَ بِمَرَأَى مَتَا، وَتَحْتَ حِفْظِنَا، وَبِتَعْلِيمِنَا لَكَ صِنَاعَتَهَا، وَلَا تَسْأَلْنِي الْعَفْوَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ؛ إِنَّهُمْ مَحْكُومٌ عَلَيْهِم بِالْغَرَقِ.

وَطَفَّقَ نُوحٌ يَصْنَعُ السَّفِينَةَ، وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ كُتُبَرَاءِ قَوْمِهِ وَرَأَوْا مَا يَصْنَعُ هَزَبُوا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ تَسْتَهْزِئُوا بِنَا، فَإِنَّا نَسْتَهْزِئُ بِكُمْ كَمَا تَسْتَهْزِئُونَ بِنَا. قَالَ نُوحٌ: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُهِيبُهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ دَائِمٌ.

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِهَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ، وَنَبَعَ الْمَاءُ بَشِدَّةً مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُخْبِرُ فِيهِ؛ عَلَامَةٌ عَلَى مَجِيءِ الْعَذَابِ، قِيلَ لَنُوحٍ: احْمِلْ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَاحْمِلْ أَهْلَ بَيْتِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّرَ اللَّهُ هَلَاكَهُ لَكُفْرِهِ، وَاحْمِلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَلَّةً.

وَقَالَ نُوحٌ لِمَنْ مَعَهُ: ارْكَبُوا فِي السَّفِينَةِ، بِاسْمِ اللَّهِ يَكُونُ مَسِيرُهَا السَّرِيعُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَبِاسْمِ اللَّهِ يَكُونُ رَسْوُهَا عَلَى الشَّاطِئِ، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ لَذُنُوبٍ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ حَيْثُ نَجَّاهُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَمِنَ الظَّالِمِينَ.

كَانَتِ السَّفِينَةُ تَجْرِي بِنُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي أَمْوَاجٍ مُرْتَفَعَةٍ كَالْجِبَالِ، وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ الْكَافِرَ وَكَانَ فِي نَاحِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ السَّفِينَةِ فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ فَتَغْرَقَ مِثْلَهُمْ.

قَالَ ابْنُ نُوحٍ: سَأَلَجَا إِلَى جِبَلٍ، يَمْنَعُنِي مِنَ الْمَاءِ! فَقَالَ نُوحٌ: لَا مَانِعَ الْيَوْمَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ فَيُنَجِّهِ، وَحَالَ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ مَوْجُ الْمَاءِ، فَكَانَ مِمَّنْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالْغَرَقِ.

وَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ بَعْدَ غَرَقِ قَوْمِ نُوحٍ أَنْ تَنْتَشِرَ الْمَاءَ الَّذِي فَوْقَهَا، وَأَنْ تُمَسِكَ السَّمَاءُ عَنِ الْإِمْطَارِ، فَفَقَصَ الْمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى نَضَبَ، وَفُرِغَ مِنْ هَلَاكِ الْكَافِرِينَ، وَإِنْجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ بِمَنْ فِيهَا عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ، وَقِيلَ: بُعْدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلظَّالِمِينَ.

ونادى نوحُ ربَّه فقال: يَا رَبِّ، إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي الَّذِينَ وَعَدْتَنِي بِإِنْجَائِهِمْ مِنَ الْغَرَقِ، وَإِنَّ وَعْدَكَ الصِّدْقُ الَّذِي لَا يُخْلَفُ، وَلَا ظُلْمٌ فِي حُكْمِكَ، وَلَا خَطَأٌ.

قال الله: يَا نُوحُ، إِنَّ ابْنَكَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ وَعَدْتُكَ بِإِنْجَائِهِمْ؛ لِأَنَّهُ كَافِرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَجَبْتُكَ عَنْ سُؤْلِكَ، فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ أَسْبَابِ أَفْعَالِي، وَلَا تَطْلُبْ مِنِّي مَا لَا تَعْلَمُ جَوَازَ مَسْأَلَتِهِ، وَلَا تَعْلَمْ أَنَّ حَصُولَهُ مُوَافِقٌ لِلْحِكْمَةِ، إِنِّي أَحْذِرُكَ؛ لِئَلَّا تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

قال نوحُ: رَبِّ، إِنِّي أَسْتَجِيرُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ بَعْدَ الْآنَ مَا لَا عِلْمَ لِي بِصَحَّتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِي مَا وَقَعَ مِنِّي مِنْ ذَلِكَ، وَتَرْحَمْنِي؛ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ.

وقيل عندَ استقرارِ السَّفِينَةِ عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ: يَا نُوحُ، انْزِلْ إِلَى الْأَرْضِ بِسَلَامَةٍ مَنًّا، وَبَرَكَاتٍ ثَابِتَةٍ عَلَيْكَ، وَعَلَى أُمَّمٍ مِنْ أَتْبَاعِكَ، وَتَمَّ أُمَّمٌ كَافِرَةٌ سَمِعَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ نُذِيقُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا مُؤَلِّمًا.

إِنَّ قِصَّةَ نُوحٍ مِنْ أَخْبَارِ الْغُيُوبِ السَّابِقَةِ، نُوحِيهَا إِلَيْكَ -يَا مُحَمَّدٌ-، وَمَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ قَبْلَ هَذَا الْقُرْآنِ، فَاصْبِرْ عَلَى دَعْوَةِ قَوْمِكَ، وَتَحَمَّلْ تَكْذِيبَهُمْ وَأَذَاهُمْ؛ إِنَّ الْعَاقِبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلْمُتَّقِينَ

وَأَرْسَلْنَا إِلَى قَبِيلَةِ عَادٍ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ هُودًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ، وَمَا أَنْتُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرَ اللَّهِ إِلَّا كَاذِبُونَ عَلَيْهِ.

يَا قَوْمِ لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَجْرَةً عَلَى تَبْلِيغِي رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا ثَوَابِي عَلَى اللَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي، أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَنِّي أَدْعُوكُمْ لِأَجْلِ مَصْلَحَتِكُمْ وَمِنْ غَيْرِ أَجْرَةٍ؟!

وَيَا قَوْمِ اطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّكُمْ، ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ؛ فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يُرْسِلِ اللَّهُ الْمَطَرَ عَلَيْكُمْ كَثِيرًا مُتَتَابِعًا، وَيَزِدُّكُمْ شِدَّةَ إِضَافِيَةٍ إِلَى شِدَّتِكُمْ، وَأَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَلَا تُعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ، وَتُصِرُّوا عَلَى الْبَاطِلِ.

قَالَ قَوْمُ هُودٍ: يَا هُودُ، مَا جِئْتَنَا بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ تَشْهَدُ عَلَى صَدِّقِكَ! وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي عِبَادَةِ آلِهَتِنَا بِمُجَرَّدِ نَهْيِكَ عَنْهَا، وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمَا تَدَّعِيهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ مُؤْمِنِينَ.

مَا نَقُولُ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ أَصْنَامِنَا أَصَابَتْكَ بَجُنُونٍ؛ لِنَهْيِكَ عَنْ عِبَادَتِهَا، وَذَمِّكَ لَهَا، فَقَالَ هُودٌ: أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَى نَفْسِي، وَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْ عِبَادَتِكُمْ لِلْأَصْنَامِ.

فَاخْتَالُوا أَنْتُمْ وَجَمِيعُ آلِهَتِكُمْ لِتَضُرُّوَنِي، ثُمَّ لَا تُمְهِلُونِي، وَلَا تَوَخَّرُوا ذَلِكَ.

إِنِّي اعْتَمَدْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ؛ لِيَمْنَعَنِي مِنْكُمْ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، إِنَّ رَبِّي عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَلَا تَخْرُجُ أَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ عَنِ الْحِكْمَةِ.

فَإِنْ تُعْرَضُوا عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ بِإِبْلَاغِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ، وَيَسْتَبْدِلُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ

بَعْدَ إِهْلَاكِكُمْ فَيَتَّبِعُونَ الْحَقَّ، وَلَا تَضُرُّوْنَ اللَّهَ شَيْئًا بِكُفْرِكُمْ، إِنَّ رَبِّي ذُو حِفْظٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ، حَافِظٌ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ وَأَفْعَالِهِمْ، وَيَحْفَظُنِي مِنْكُمْ.

وَلَمَّا أَتَى عَذَابُنَا، وَأَهْلَكْنَا الْكَافِرِينَ، نَجَّيْنَا هُودًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا، وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

وَتِلْكَ عَادٌ كَذَّبُوا بِالْمُعْجَزَاتِ، وَأَنْكَرُوا حُجَجَ اللَّهِ، وَعَصَوْا رُسُلَهُ بِعَصْيَانِهِمْ لِهَوْدٍ، وَاتَّبَعُوا كُلَّ مَتَكَبِّرٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ، مَتَسَلِّطٍ عَلَى الْخَلْقِ، مُعَانِدٍ، لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ.

وَأَلْحَقَ اللَّهُ بِقَوْمِ هُودٍ فِي الدُّنْيَا لَعْنَةً مِنْهُ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَلَحَّوْهُمْ لَعْنَةً أُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ عَادًا كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، أَلَا فَاْبَعْدَهُمُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ.

وَأَرْسَلْنَا إِلَى قَبِيلَةِ ثَمُودَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ صَالِحًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ، هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْهَا، وَجَعَلَكُمْ تَسْكُنُونَهَا وَتَعْمُرُونَهَا وَتَسْتَغْلُونَ خَيْرَاتَهَا، فَاطْلُبُوا مِنَ اللَّهِ مَغْفِرَةَ ذُنُوبِكُمْ، ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ، يُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ.

قَالَ قَوْمٌ صَالِحٌ: يَا صَالِحُ قَدْ كُنَّا نَرْجُو فَيْكَ الْخَيْرَ، وَكَمَالِ الْعَقْلِ، وَأَنْ تَكُونَ فِينَا سَيِّدًا قَبْلَ ادِّعَائِكَ النَّبُوَّةَ، وَنَهْيِكَ عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِنَا! أَتُنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا كَانَ يَعْبُدُهُ أَسْلَافُنَا؟! وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِنْ كَلَامِكَ، شَكًّا يُوجِبُ تُهْمَتَكَ.

قَالَ صَالِحٌ: يَا قَوْمِ أَخْبِرُونِي إِنْ كُنْتُ عَلَى بُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَرَزَقَنِي مِنْ عِنْدِهِ النَّبُوَّةَ وَالرَّسَالَةَ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ، فَمَنْ يَمْنَعُنِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ تَرَكْتُ دَعْوَتَكُمْ لِلْحَقِّ؟! لَوْ فَعَلْتُ ذَلِكَ، فَلَنْ تَزِيدُونِي غَيْرَ الْخَسَارَةِ وَالضَّرَرِ.

ويا قوم هذه ناقةُ الله حُجَّةٌ وعلامةٌ لكم على صدقي،
فاتركوها تاكلُن ما شاءت في أرضِ الله؛ ولا تنالوها بأذى
فَيُصِيبَكُم عَذَابٌ عَاجِلٌ.

فَقَتَلَ الْكَافِرُ النَّاقَةَ، فقال نبيُّهم صالحٌ: تَمَتَّعُوا بِالْعَيْشِ فِي
دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قَبْلَ نَزُولِ الْعَذَابِ، وهذا وعدٌ صادقٌ، لا بدَّ مِنْ
وُقُوعِهِ.

فَلَمَّا جَاءَ عَذَابُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
عَلَيْهِمْ، وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَذُلِّ عَذَابِهِ، إِنَّ رَبَّكَ -يَا
مُحَمَّدُ- هُوَ الْقَوِيُّ فِي بَطْشِهِ، الْقَادِرُ عَلَى إِنْجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَإِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ، الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ

وَأَصَابَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم بِالْكَفْرِ، وَعَقَرَ النَّاقَةَ، الصَّيْحَةُ
الْعَظِيمَةُ، فَصَارُوا فِي دِيَارِهِمْ صَرَعى، لَا صِيقِينَ بِالْأَرْضِ.
وَكَانَ الْكَافَرُ لَمَّا جَاءَهُم الْعَذَابُ لَمْ يَعِيشُوا فِي دِيَارِهِمْ، وَلَمْ
يَتَمَتَّعُوا فِيهَا، أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، أَلَا أَبْعَدَ اللَّهُ ثَمُودَ عَنْ
كُلِّ خَيْرٍ.

جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالْبِشَارَةِ بِالْوَلَدِ لِإِبْرَاهِيمَ، فَسَلَّمَ الْمَلَائِكَةُ
عَلَيْهِ، فَقَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَمَا أَسْرَعُ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ مَشُورٍ
لضُيُوفِهِ -وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ-.

فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمُ أَيْدِيَ ضُيُوفِهِ لَا تَصِلُ إِلَى الطَّعَامِ، اسْتَنْكَرَ
ذَلِكَ، وَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ خَوْفًا مِنْهُمْ، فَقَالُوا لَهُ: لَا تَخَفْ؛ فَإِنَّا
مَلَائِكَةُ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ لَوِطَ لِإِهْلَاكِهِمْ.

وَكَانَتْ امْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ قَائِمَةً فَضَحِكَتْ، فَبُشِّرَتْ بِإِسْحَاقَ ابْنًا
لَهَا، وَبِيعْقُوبَ ابْنًا لِابْنِهَا.

قالت متعجبة: يا ويلتى أكونُ لي ولدٌ، وأنا عجوزٌ لا يلدُ مثلي، وهذا زوجي إبراهيمُ شيخًا كبيرًا، لا يولدُ لمثله؟! إنَّ ذلكَ لشيءٌ عجيبٌ، لم تجر به العادة!

قالت الملائكةُ لها: أتعجبين من شيءٍ قضاه الله؟! رحمةُ الله وخيراته المتكاثرةُ عليكم يا أهل بيت إبراهيم، إنَّ الله محمودٌ في جميع صفاته وأفعاله وأقواله، ذو عظمةٍ وسعةٍ في صفاتِ كماله.

فلما زال عن إبراهيم الخوفُ، وجاءته البُشرى فطابت نفسه، وأعلمته الملائكةُ بهلاكِ قومِ لوطٍ أخذَ يحاجُّ في إهلاكهم.

إنَّ إبراهيمَ لحليمٌ لا يعاجل بالعقوبة، متذلِّلٌ إلى ربِّه، كثيرُ التضرُّعِ إليه، رجَّاعٌ إلى الله بطاعته ومعرفته ومحبته، ورجَّاعٌ إليه في جميع أموره.

قالت الملائكةُ: يا إبراهيم، اتركِ الجدالَ في شأنهم؛ فقد جاء أمرُ ربِّك بهلاكهم، فالعذابُ نازلٌ بهم حتمًا. ولما جاءت الملائكةُ لوطًا -ولم يعلم أنَّهم ملائكةٌ- ساءه مجيئهم، وضاقَتِ نفسه غمًّا؛ خوفًا عليهم من قومه، وقال: هذا يومٌ عظيمٌ بلاؤه!

وجاء قومُ لوطٍ مُسرَّعين إليه! وكانت عادتهم المستمرةُ من قبل مجيء الرُّسلِ إلى لوطٍ إتيانُ الرجالِ في أدبارهم، فجاؤوا إلى أضيافه لذلك، فقال لهم: يا قوم هؤلاء نساءُ أمتي فانكحوهن؛ فهذا أطهرُ لكم من إتيان الذكور، فاتقوا سخطَ الله وعقابه، ولا تُهينوني بانتهاك حُرمة ضيوفي، أليس منكم رجلٌ ذو عقلٍ وحسنِ نظرٍ وتقديرٍ، فينْهاكم عن ذلك؟!!

قال قوم لوط له: لقد علمت أنه ليس لنا في النساء رغبة، وإنك لتعلم يقيناً أننا نريد الرجال!

قال لوط: ليت لي أنصاراً يعينونني على رديكم، أو ألجأ إلى عشيرة تعصمني منكم؛ لأحول بينكم وبين ضيوفي قالت الملائكة للوط: إِنَّا ملائكة ربك، أرسلنا لإهلاك قومك؛ فلن يصلوا إليك بمكروه، واخرج أنت وأهلك من هذه الأرض بعد مضي وقتٍ من الليل، ولا ينظر أحدٌ منكم وراءه، واستمروا في طريقكم، إلا امرأتك، فلا تخرجها معكم، وسيصيبها من العذاب ما يصيب قومك، إن موعِدَ إهلاكهم الصُّبحُ الآتي، أليس هو ب قريب لنزولِ العذابِ بهم؟!

فلما جاء أمرنا بهلاك قوم لوط، جعلنا عالي فُراهم أسفلها، وأرسلنا عليها حجارةً من طين، شديد القوة، قد ضَمَّ بعضُه إلى بعض، فصار حجارةً.

حجارةٌ معلَّمةٌ عند الله بعلاماتٍ، وما هي ببعيدةٍ من الظالمين الفاعلين مثلهم؛ فليحذروا.

وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم في النسب شعيباً، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، فلا يستحقُّ العبادة غيره، ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن لهم، إني أراكم في سعةٍ من الرزق، وكثرةِ نعمٍ، وإني أخافُ عليكم بسببِ شرككم، وبخسكم حقوق الناس أن ينزل بكم عذابٌ يومٍ يحيط بكم، فلا يفلت منه أحد.

ويا قوم أتموا للناس حقوقهم في الكيل والوزن لهم بالعدل، ولا تنقصوا الناس من حقوقهم شيئاً، ولا تسيروا في الأرض بمعصية الله، والإضرار بالخلق.

وما يُبقيهِ اللهُ لَكُمْ بعدَ أَنْ تُؤْفُوا النَّاسَ حُوقَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ
الحَرَامِ الَّذِي تَجْمَعُونَهُ بِظُلْمِ النَّاسِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِمَا جُنُتُمْ
بِهِ، وَمَا أَنَا بِرَقِيبٍ عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ عَلَيَّ حِفْظُ أَعْمَالِكُمْ.
قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ مُسْتَهْزِئِينَ بِهِ: يَا شُعَيْبُ، أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ؟! أَوْ نَتْرَكَ فِعْلَ مَا
نُرِيدُ فِي أَمْوَالِنَا مِنَ التَّطْفِيفِ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ؟! إِنَّكَ لَأَنْتَ
الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ فِي أَمْرِكَ لَنَا بِتَرْكِ ذَلِكَ -يَعْنُونَ وَصْفَهُ بِالسَّفَهَةِ
وَالْجَهْلِ-.

قَالَ شُعَيْبٌ: يَا قَوْمِ أَخْبِرُونِي إِنْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي فِيمَا
أَمَرَنِي أَنْ أَدْعَوْكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ، وَفِيمَا أَنَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ ظُلْمِ
النَّاسِ، وَأَعْطَانِي اللهُ مَالًا حَلَالًا طَيِّبًا، أَفَأَتَّبِعُ الضَّلَالَ؟ وَمَا أُرِيدُ
أَنْ أَنَهَاكُمْ عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَفْعَلَ خِلَافَهُ، مَا أُرِيدُ بِنَصِيحَتِي إِلَّا
إِصْلَاحَ أُمُورِكُمْ، وَنَفْعَكُمْ بِقَدْرِ جُهْدِي، وَمَا إِصَابَتِي الْحَقَّ فِيمَا
أُرِيدُهُ، وَتَيْسُرُ الْخَيْرِ لِي، إِلَّا بِإِعَانَةِ اللهِ وَحْدَهُ، عَلَى اللهِ اعْتَمَدْتُ،
وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ أَرْجِعُ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ وَالِدُّعَاءِ.

وَيَا قَوْمِ لَا تَحْمِلَنَّكُمْ مُخَالَفَتِي فِي دِينِي، وَبُغْضِكُمْ لِي، عَلَى
الْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ، وَظُلْمِ النَّاسِ، فَيُصِيبَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِثْلُ
مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَكُمْ بِالْغَرَقِ، أَوْ الرِّيحِ، أَوْ الرَّجْفَةِ، وَمَا قَوْمُ لُوطٍ
مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ مَكَائِهِمْ أَوْ زَمَانِهِمْ.

وَاطْلُبُوا مَغْفِرَةَ ذُنُوبِكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ بِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، مُحِبٌّ لِعِبَادِهِ النَّائِبِينَ.

قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ: يَا شُعَيْبُ لَا نَفْهَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعِظُنَا بِهِ، وَلَا
نَرَى لَكَ قُوَّةَ تَقْدِيرٍ بِهَا عَلَى مَنَعِ نَفْسِكَ مِنَّا، وَلَوْلَا مَعَزَّتُنَا
لِعَشِيرَتِكَ لَرَجَمْنَاكَ، وَلَا مَعَزَّةَ لَكَ عِنْدَنَا وَلَا قَدْرَ

قال شعيبٌ: يا قوم أعشيرتي أعزُّ عليكم من الله، فترككم رجمي لأجلهم وليس لله عزٌّ وجلٌّ؟! وجعلنموه خلفَ ظهوركم، لا تخافون منه، ولا تعظّمونه! إنَّ ربِّي مُحيطٌ علماً بأعمالكم، وسيُجازيكم عليها.

ويا قوم، اعملوا على طريقَتكم الَّتِي أنتم عليها، إِنِّي عاملٌ على طريقتي، وسوف تعلمونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ يُذِلُّهُ، وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ مُنْأً؟ وانتظروا نزولَ العذابِ، إِنِّي معكم مُنتظرٌ. ولَمَّا أَتَى عَذَابُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا لَهُمْ وَأَصَابَتِ الصَّيْحَةُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم بِالْكَفْرِ، فَصَارُوا فِي بِلَدِهِمْ صَرَغَى، لاصِقِينَ بِالْأَرْضِ.

كَأَنَّ قَوْمَ شُعَيْبٍ لَمَّا جَاءَهُمُ الْعَذَابُ لَمْ يَعْشُوا وَيَتَمَتَّعُوا فِي ديارِهِمْ، أَلَا أَعَدَّ اللَّهُ مَدِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ، كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ مِنْ قَبْلِهِمْ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِمُعْجَزَاتِنَا، وَبُحْجَةٍ ظَاهِرَةٍ.

أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ، فَاتَّبَعُوا مِنْهَجَ فِرْعَوْنَ فِي الضَّلَالِ، وَمَا مَنَّهُجُهُ بِصَوَابٍ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ.

يَتَقَدَّمُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَمْضِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَيَدْخُلُونَهَا مَعَهُ، وَبُسْ الْمَدْخَلُ الَّذِي يَدْخُلُونَهُ!

وَأُتْبِعَهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا -مَعَ غَرِقِهِمْ فِي الْبَحْرِ- لَعْنَةً، وَيُلْعَنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَعْنَةً أُخْرَى، فَبُسْ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ؛ مِنَ اللَّعْنِ!

ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا نَقْصُهُ عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدٌ-، وَمِنْهَا قُرَى عَامِرٌ بُنْيَانُهَا، وَمِنْهَا خَرَابٌ تَهْدَمُ بُنْيَانُهَا.

وما ظَلَمْنَا أَهْلَ تِلْكَ الْقُرَى حِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ، وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي فَاسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ، فَمَا نَفَعْتُهُمْ آلِهَتُهُمْ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ، وَمَا زَادَتْهُمْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَإِهْلَاكِ وَتَدْمِيرٍ.

وكَذَلِكَ يُهْلِكُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ لأنفسِهِم بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، إِنَّ عِقَابَ اللَّهِ لَهُمْ مُوجِعٌ، شَدِيدُ الْإِيلَامِ.
إِنَّ فِي إِهْلَاكِ اللَّهِ لِلظَّالِمِينَ لَدَلَالَةً لِمَنْ يَخَافُ عَذَابَ اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، إِنَّ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ النَّاسَ؛ لِيُجَازِيَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ يَوْمٌ يَشْهَدُهُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ.

وَمَا نُوَخِّرُ مَجِيءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا لَوْقَتٍ مُحَدَّدٍ مَعْدُودٍ عِنْدَ اللَّهِ. حِينَ يَأْتِي يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا تَتَكَلَّمُ أَيُّ نَفْسٍ إِلَّا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَهَا، وَالنَّاسُ فِيهِ عَلَى صِنْفَيْنِ: أَشْقِيَاءُ، وَسَعْدَاءُ.

فَأَمَّا الْأَشْقِيَاءُ، فَمُنْعَمَسُونَ فِي النَّارِ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ قَبِيحٌ يَخْرُجُ مِنْ حُلُوقِهِمْ، وَشَهيقٌ شَدِيدٌ فِي صُدُورِهِمْ؛ مِنْ شِدَّةِ عَذَابِهِمْ!

لَا يَنْبَغِي فِي النَّارِ أَبَدًا، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ -يَا مُحَمَّدٌ-، إِنَّ رَبَّكَ لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنْ فِعْلٍ مَا يُرِيدُهُ، بِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ.
وَأَمَّا الَّذِينَ رُزِقُوا السَّعَادَةَ، فَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْبَغِي فِيهَا أَبَدًا، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ -يَا مُحَمَّدٌ-، عَطَاءٌ مِنَ اللَّهِ غَيْرَ مَقْطُوعٍ عَنْهُمْ.

فَلَا تَشْكُ -يَا مُحَمَّدٌ- فِي أَنْ مَا يَعْبُدُهُ مُشْرِكُوا قَوْمِكَ مِنَ الْأَصْنَامِ بَاطِلٌ، وَهُمْ يَقْلِدُونَ آبَاءَهُمْ فِي ذَلِكَ بِلا حُجَّةٍ، وَإِنَّا سَنُوقِيهِمْ حَظَّهُمْ مِمَّا كُتِبَ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا، وَحَظَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ كَامِلًا بِلا نَقْصٍ

ولقد آتينا موسى التوراة، فأمنَ بها بعضُ قومه، وكفرَ بها آخرون، ولولا كلمةٌ سبقت من ربِّكَ بتأخير عذابهم، لأهلكهم في الحال، وميَّزَ أهلَ الحَقِّ عنهم بنجاتهم، وإنَّ المختلفين بالباطل في التوراة لفي شكٍّ مثيرٍ للرَّيبة، فلا يدرون أحقُّ هي أم باطل! وإنَّ كلَّ المُختلفين سيُوفيهم ربُّكَ -يا محمَّد- جزاءَ أعمالهم يومَ القيامة، إنَّ اللهَ عليمٌ بها كُلِّها.

فاتَّبعتْ -يا محمَّد- على الدِّينِ الَّذي أمَرَكَ اللهُ به أنتَ والمؤمنينَ معكَ، ولا تتجاوزوا ما حدَّه اللهُ لكم من الاستقامة إلى ما نهاكم عنه، إنَّ اللهَ بما تعملون بصيرٌ، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم، وسيُجازيكم عليها.

ولا تَميلوا -أيُّها النَّاسُ- إلى الظُّلْمَةِ؛ فإن فعلتُم، ووافقتُموهم على أفعالهم ورضيتُم بها، وداهنتُموهم؛ نُصِبكم النَّارَ، ولا تَجِدونَ أعوانًا من دونِ اللهِ يَنفَعونكم، ولا مَن يَخْلِصُكم من عذابه.

وأَقِمِ الصَّلَاةَ المفروضةَ، في أوَّلِ النَّهارِ وآخره، وهي صلاةُ الفجرِ والظُّهرِ والعصرِ، وأَقِمِ الصَّلَاةَ في ساعاتٍ مِنَ اللَّيْلِ، وهي صلاةُ المغربِ والعشاءِ، إنَّ الأعمالَ الصَّالحةَ مِنَ الصَّلَاةِ وغيرِها تُكَفِّرُ صغائرَ الذُّنوبِ، ذلك -الَّذي تقدَّمَ ممَّا أمَرَكَ اللهُ به ونهاكم عنه- تذكِرةٌ لِلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ، ويذكُرُونَ وَعْدَهُ ووَعِيدَهُ. واحبسْ نَفْسَكَ على طاعةِ اللهِ، وتَرَكَ مَعْصِيَتِهِ، وتحملِ أذى الكفَّارِ؛ فإنَّ اللهُ يُعطي المحسنينَ ثوابهم كاملاً.

فهلَّا وُجِدَ من أهلِ القُرونِ الَّذينَ أهلكناهم بقايا من أصحابِ الغُفولِ والإيمانِ، يَنهَوْنَ النَّاسَ عن الكُفْرِ والمعاصي؟ لكنَّ من كانوا يَنهَوْنَ عن ذلك قليلٌ، وهم أنبأغ الرُّسلِ الَّذينَ أنجاهم اللهُ

تعالى، وأما الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَإِنَّهُمْ انْقَادُوا لِلذَّاتِ الدُّنْيَا،
وكانوا مُجْرِمِينَ باكتسابِ الْكُفْرِ والمعاصي، فاستَحَقُّوا عِقَابَ
الله.

وما كان رَبُّكَ -يا مُحَمَّدُ- لِيُهْلِكَ أَهْلَ الْقُرَى ظُلْمًا مِنْهُمْ لَهُمْ،
والحالُ أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ؛ فاللهُ تعالى لم يَهْلِكْ قَرْيَةً إِلَّا وَهِيَ ظَالِمَةٌ
لِنَفْسِهَا.

ولو شاء رَبُّكَ -يا مُحَمَّدُ- لَجَعَلَ النَّاسَ عَلَى مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا
يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ فِي أَدْيَانِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ.

إِلَّا مَنْ رَحِمَهُمُ اللهُ، فَهَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيمَا
جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَلِلْاِخْتِلَافِ خَلَقَهُمْ حَيْثُ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ
اللهِ عِزَّ وَجَلَّ اخْتِلَافَ النَّاسِ بَيْنَ مَنْكَرٍ لِلْحَقِّ بِاخْتِيَارِهِ فَيَشْقَى
بِذَلِكَ، وَمتَّبِعَ لَهُ بِاخْتِيَارِهِ فَيَسْعُدُ بِذَلِكَ- وَقَدْ تَمَّ أَمْرُ اللهِ وَنَفَذَ
قَضَائُوهُ بِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ لِيَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّهَا مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ أَجْمَعِينَ.

وَنَقُصُّ عَلَيْكَ -يا مُحَمَّدُ- مِنْ أَخْبَارِ الرُّسُلِ؛ مَا نُثَبِّتُ بِهِ قَلْبَكَ،
فَتَزِدَادُ إِيمَانًا وَبَقِيئًا وَصَبْرًا عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِكَ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
السُّورَةِ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَمَوْعِظَةٌ مِنَ اللهِ لِلْإِحْتِرَاسِ مِنْ
أَسْبَابِ الْعُقُوبَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَتَذْكِيرٌ لَهُمْ.

وَقُلْ -يا مُحَمَّدُ- لِلَّذِينَ لَا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَلَا يُصَدِّقُونَكَ:
اعْمَلُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ وَحَالَتِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا، مَتَمَكِّنِينَ مِنْ
الْعَمَلِ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ، إِنَّا مُسْتَمِرُّونَ عَلَى الْعَمَلِ بِمَنْهَجِنَا الَّذِي
أَمَرَنَا اللهُ بِهِ.

وَانْتَظِرُوا مَا يَحُلُّ بِنَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، إِنَّا مُنْتَظِرُونَ مَا وَعَدَنَا
اللهُ مِنْ عُقُوبَتِكُمْ.

ولله مُلْكٌ ما غاب عن عباده في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وهو العالمُ بِكُلِّ ما فيهما مِنَ الْخَفَايَا، وإلى الله وَحْدَهُ مَرْجِعُ كُلِّ عاملٍ وعَمَلِهِ، فيُجَازِيهِم عليها، فاعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ -يا مُحَمَّدٌ- وفَوِّضْ إليه أُمُورَكَ، وما رَبُّكَ بغافلٍ عما تعملون، وسيُجَازِي كُلَّ واحدٍ بعَمَلِهِ.

هذه الحروفُ المقطَّعةُ الَّتِي افْتُخِتَ بها هذه السُّورَةُ وغيرُها، تأتي لبيان إعجاز القرآن؛ حيثُ تُظهِرُ عَجَزَ الخلقِ عن مُعارَضَتِهِ بمثله، مع أَنَّهُ مرْكَبٌ مِنْ هذه الحروفِ العربيَّةِ الَّتِي يتحدَّثون بها.

هذه آياتُ القرآن الواضحِ مِنْ جهةِ أحكامِهِ، وألفاظِهِ، وسائِرِ ما حَوَاهُ مِنْ صُنُوفِ مَعَانِيهِ، الَّتِي يَبَيِّنُ صِدْقَهُ، الَّذِي يُفْصِحُ عما أُبْهِمَ وَيُبَيِّنُهُ.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ كِتَابًا يَفْرَأُ بِلُغَتِكُمْ -أيُّها العربُ- كي تَعْلَمُوا وتَفْهَمُوا مَعَانِيَهُ

نحن نَقْصُ عليك -يا مُحَمَّدٌ- أَحْسَنَ أخبارِ الأُمَمِ الماضيةِ؛ بإيحائنا إليك هذا القرآنَ، والشَّأْنُ أَنَّكَ كُنْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُوحِيَ إِلَيْكَ هذا القرآنَ، مِنْ جَمَلَةِ قَوْمِكَ الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ بما في القرآنِ؛ مِنَ الإِيْمَانِ والهُدَى، وأخبارِ الأنبياءِ والأُمَمِ الماضيةِ.

اذْكُرْ -يا مُحَمَّدٌ- لِقَوْمِكَ حينَ قال يوسفُ لأبيه يعقوبَ: يا أبتِ، إِنِّي رأيتُ في المنامِ أَحَدَ عَشَرَ نَجْمًا، وَالشَّمْسُ والقَمَرُ، رأيتُهم ساجدينَ لي.

قال يعقوبُ لابنه يوسفَ: يا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ هذه الرُّؤْيَا على إِخْوَتِكَ، فَيَحْسُدُوكَ، وَيَحْتَالُوا لَكَ حيلةً لِيَضْرُوكَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لَأَدَمَ وَثَرِيَّتَهُ عَدُوٌّ ظَاهِرُ العَدَاوَةِ، يَحْمِلُهُم على الحَسَدِ والكَيْدِ.

قال يعقوب لابنه يوسف: وكما أراك ربك في منامك هذه الرؤيا، فكَذَلِكَ يَخْتَارُكَ رَبُّكَ، وَيَصْطَفِيكَ لِلنُّبُوَّةِ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ فِي مَنَامِهِمْ، وَمَا يُوَوِّلُ أَمْرَهَا إِلَيْهِ، وَمِنْ مَعَانِي كُتُبِ اللَّهِ وَسُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَعَلَى أَهْلِ مِلَّةِ يَعْقُوبَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَغَيْرِهِمْ، كَمَا أَتَمَّ نِعْمَتَهُ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ عَلَى أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ بِالنِّعَمِ الْعَظِيمَةِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلِاجْتِبَاءِ وَالنِّعْمَةِ، حَكِيمٌ يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ حِكْمَتُهُ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِ يَوْسُفَ وَإِخْوَتِهِ الْأَحَدَ عَشَرَ عِبْرٌ وَمَوَاعِظٌ وَدَلَالَاتٌ لِلسَّائِلِينَ عَنْ خَبَرِهِمْ وَقِصَّتِهِمْ.

اذْكُرْ - يَا مُحَمَّدُ - حِينَ قَالَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: وَاللَّهِ لِيَوْسُفَ وَشَقِيقُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا يَعْقُوبَ مَنَّا، وَالْحَالُ أَنَّنَا جَمَاعَةٌ دَوُو عَدَدٍ، فَكَيْفَ أَحَبَّ هَذَيْنِ الْاِثْنَيْنِ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمَاعَةِ؟! إِنَّ أَبَانَا لَفِي خَطِئٍ وَاضِحٍ، وَذَهَابَ عَنِ الْعِلْمِ بِالْحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ فِي إِثَارِهِ يَوْسُفَ وَشَقِيقَهُ عَلَيْنَا بِالْمَحَبَّةِ، وَنَحْنُ الْعَشْرَةُ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهُمَا!

قال إخوة يوسف بعضهم لبعض: اقتلوا يوسف أو ألْقُوهُ فِي أَرْضٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْعُمَرَانِ، يَتَفَرَّغَ لَكُمْ أَبِيكُمْ مِنْ شُغْلِهِ بِيَوْسُفَ، وَيُقْبَلَ عَلَيْكُمْ بِكُلِّيَّتِهِ، وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِ مَا تَفْعَلُونَهُ بِيَوْسُفَ قَوْمًا صَالِحِينَ، تَتَوَبُّونَ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الصَّنِيعِ.

قال قائلٌ مِنَ إِخْوَةِ يَوْسُفَ: لَا تَقْتُلُوا يَوْسُفَ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُ أَعْظَمُ إِثْمًا، وَاطْرَحُوهُ وَغَيِّبُوهُ فِي قَعْرِ الْبَيْرِ، يَأْخُذْهُ بَعْضُ الْمَارَّةِ فِي

الطَّرِيقِ مِنَ الْمُسَافِرِينَ، إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ مَا أَرَدْتُمْ مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ.

قال إخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليه السَّلام، وقد عزموا على إلقاء يوسف في قَعْرِ البئر: يا أبانا، لِمَ تخافُ مِنَّا على يوسف، فلا تَأْمَنُنَا عليه؟! وإِنَّا لَنَاصِحُونَ له بِالْحِفْظِ والرَّعايةِ والنَّفْعِ له.

أبعثه معنا غداً يأكلُ ويلبُّه، ويتنزَّه في البرِّيَّة، وينشط ويلعب، وإِنَّا لحافظون ليوسف، وسنحميه مِن أن يناله مَكْرُوهٌ أو أذى.

قال يعقوب لأولاده: إِنِّي لِحَزْنُنِي ذهابكم بيوسف إلى البرِّيَّة، ويشقُّ عَلَيَّ غيابُه عَنِّي، وأخافُ أن يأكله الذِّئْبُ، وأنتم مشغولون عنه، لا تَشْعُرُونَ بذلك.

قالوا لأبيهم: لئن أكل الذِّئْبُ يوسف، والحالُ أَنَّا جماعةٌ معه، ولم نستطعْ حفظه من الذِّئْبِ- إِنَّا إِذَا لَعَجَزَةٌ هالِكُونَ، لا خيرَ فينا، ولا نفعَ مِنَّا!

فلما ذهب إخوة يوسف به مِن عندِ أبيه، وأجمعوا رأيهم وعزموا على أن يلقوه في قَعْرِ البئر، قاموا بفعلِ ذلك، وأوحينا إلى يوسف لَنُخْبِرَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ هذا الَّذي فعلوه بك، وهم في حالٍ لا يعلمون فيها أَنَّك أخوهم يوسف.

وجاء إخوة يوسف -بعدما ألْقَوْه في غِيَابَةِ الجُبِّ- أباهم يعقوب في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ يَتَبَاكُونَ على يوسف.

قالوا مُعْتَذِرِينَ كَذِبًا لأبيهم: يا أبانا إِنَّا ذَهَبْنَا نَتَسَابَقُ، وَتَرَكْنَا يوسفَ عِنْدَ أُمْتَعَتِنَا، فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ، ونحن غائبون عنه، وما أنت بمُقَرَّرٍ ومُصَدِّقٍ لِقَوْلِنَا هذا، ولو كُنَّا عِنْدَكَ مِن أَهْلِ الصِّدْقِ؛ لسوءَ ظَنِّكَ بنا، وثُهمَتِكَ لنا.

وَأَتُوا بِقَمِيصٍ يَوْسُفَ مُتَلَطِّحًا بِدَمٍ مَكْذُوبٍ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ دَمُ
يَوْسُفَ حِينَ أَكَلَهُ الدِّئْبُ، قَالَ يَعْقُوبُ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ادَّعَيْتُمْ، بَلْ
زَيَّنْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فِي شَأْنِ يَوْسُفَ غَيْرَ مَا تَصِفُونَ،
فَصَبِرِي عَلَى مَا فَعَلْتُمْ بِيَوْسُفَ صَبْرًا جَمِيلًا، لَا جَزَعَ فِيهِ، وَلَا
شَكْوَى إِلَى الْخَلْقِ، وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ عَلَى مَا تَذْكُرُونَ مِنَ الْكَذِبِ.

وَجَاءَتْ جَمَاعَةٌ مَرَّةً فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْمُسَافِرِينَ، فَأَرْسَلُوا
مُقَدِّمَهُمُ الَّذِي يَرُدُّ الْمَاءَ لِيَسْتَقِيَ لَهُمْ، فَأَرْسَلَ دَلَّوهُ فِي الْبُئْرِ
لِيَمْلَأَهَا، فَتَعَلَّقَ يَوْسُفُ بِالْذَّلْوِ وَخَرَجَ، قَالَ وَارِدُهُمْ حِينَ رَأَى
يَوْسُفَ: أَبْشِرُوا، هَذَا غُلَامٌ، وَأَخْفَى السَّيَّارَةَ أَمْرَ يَوْسُفَ،
وَجَعَلُوهُ بِضَاعَةً مِنْ جُمْلَةِ تِجَارَتِهِمْ، وَعَزَمُوا عَلَى بَيْعِهِ، وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ بِيَوْسُفَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

وَبَاعَ السَّيَّارَةَ يَوْسُفَ بِثَمَنٍ مَنقُوصٍ؛ دَرَاهِمَ قَلِيلَةٍ مَعْدُودَةٍ
غَيْرِ وَافِيَةٍ، وَكَانَ السَّيَّارَةُ فِي يَوْسُفَ مِنَ الرَّاغِبِينَ عَنْهُ.

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَى يَوْسُفَ مِنْ بَائِعِهِ بِمِصْرَ لَا مَرَاتِهِ: أَكْرَمِي
مَنْزِلَهُ وَمُقَامَهُ عِنْدَكَ، عَسَى أَنْ يَكْفِينَا بَعْضَ أُمُورِنَا، أَوْ نَجْعَلَهُ
وَلَدًا لَنَا بِالتَّبَيُّي. وَكَمَا أَنْقَذَنَا يَوْسُفَ مِنْ إِخْوَتِهِ، وَأَخْرَجَنَا مِنَ
الْجُبِّ، وَصَيَّرَنَا إِلَى الْكِرَامَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ عَزِيزِ
مِصْرَ، كَذَلِكَ مَكَّنَّا لَهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، حَتَّى بَلَغَ فِيهَا مَا بَلَغَ،
وَلِنُعَلِّمَ يَوْسُفَ مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَى -الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ فِي مَنَامِهِمْ-
وَمَعَانِي كُتُبِ اللَّهِ، وَسُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، يَفْعَلُ
مَا يَشَاءُ، فَلَا يَرُدُّ أَمْرُهُ وَلَا يُمَانَعُ، وَلَا يُنَازَعُ فِيمَا أَرَادَهُ، وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَنْ تَدْبِيرَ الْأُمُورِ
بِيَدِهِ، وَلَا يَذَرُونَ حِكْمَتَهُ فِي خَلْقِهِ، وَتَلَطُّفِهِ لِمَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ.

وَلَمَّا بَلَغَ يَوْسُفُ مُنْتَهَى شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ، وَاكْتَمَلَ خَلْقُهُ وَعَقْلُهُ؛ أُعْطِيَاهُ النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ، وَمِثْلَ ذَلِكَ الْجَزَاءِ نَجْزِي كُلَّ مَنْ أَحْسَنَ.

وَدَعَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ يَوْسُفَ -الَّتِي هُوَ مُقِيمٌ فِي بَيْتِهَا، وَتَحْتَ تَدْبِيرِهَا- إِلَى نَفْسِهَا، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَوَاقِعَهَا، وَغَلَقَتْ جَمِيعَ أَبْوَابِ الْبَيْتِ عَلَيْهَا وَعَلَى يَوْسُفَ، وَقَالَتْ لَهُ: تَعَالَ وَأَقْبِلْ إِلَيَّ، قَالَ: أَعْتَصِمُ بِاللَّهِ مِنْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي تَدْعِينِي إِلَيْهَا؛ إِنَّ زَوْجَكَ سَيِّدِي، أَكْرَمَنِي وَأَحْسَنَ إِلَيَّ، فَلَا أَقَابِلُ مَعْرُوفَهُ بِخِيَانَتِهِ فِي أَهْلِهِ، إِنَّهُ لَا يَفُورُ وَلَا يَنْجَحُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ فِعْلُهُ، وَهَذَا الَّذِي تَدْعِينِي إِلَيْهِ ظُلْمٌ وَخِيَانَةٌ لِسَيِّدِي.

وَلَقَدْ هَمَّتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ -هَمَّ عَزَمَ- بِمَوَاقِعَةِ الْفَاحِشَةِ مَعَ يَوْسُفَ، وَهَمَّ يَوْسُفُ بِامْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَكَانَ هُمُّهُ خَطَرَةً عَارِضَةً، وَحَدِيثَ نَفْسٍ، مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَلَا عَزَمٍ، لَوْلَا أَنْ رَأَى يَوْسُفُ آيَةً مِنَ اللَّهِ قَوِيَّ بِهَا إِيْمَانُهُ، وَامْتَنَعَ بِسَبَبِهَا مِنْ عِصْيَانِهِ، لَكَانَ مَا كَانَ. وَقَدْ أَرَيْنَا يَوْسُفَ كَتْلَكَ الْإِرَاءَةِ؛ كَيْ نَقِيَهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، إِنَّ يَوْسُفَ مِنْ عِبَادِنَا الْمُطَهَّرِينَ الْمُخْتَارِينَ الْمُصْطَفَيْنَ، الَّذِينَ أَخْلَصُوا لِلَّهِ التَّوْحِيدَ وَالْعِبَادَةَ.

وَاسْتَبَقَ يَوْسُفُ وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ؛ يَوْسُفُ يَرِيدُ أَنْ يَفِرَّ مِنْهَا، وَهِيَ تَرِيدُ مَنَعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ، وَأَدْرَكَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ يَوْسُفَ، فَأَمْسَكَتْ بِقَمِيصِهِ، وَجَذَبَتْهُ لَتَمْنَعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ، فَشَقَّتْ قَمِيصَهُ مِنَ الْخَلْفِ؛ مِنْ شِدَّةِ الْجَذْبِ، وَصَادَفَ يَوْسُفَ وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ زَوْجَهَا عِنْدَ الْبَابِ، قَالَتْ الْمَرْأَةُ لِرَوْحِهَا مَثْمُةً يَوْسُفَ بِمُرَاوَدَتِهَا: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ فِعْلَ الْفَاحِشَةِ بِزَوْجَتِكَ إِلَّا أَنْ يُحْبَسَ فِي السِّجْنِ، أَوْ يُضْرَبَ ضَرْبًا مُوجِعًا!

قال يوسف للعزير مُدافعًا عن نفسه: لم أراودُ زوجتك عن نفسها، بل هي من طَلَبَتْ مِنِّي فَعَلَ الفاحشة، فأبيتُ، وحكَمَ بينَ امرأة العزير وبين يوسف حاكِمٌ من أهلها لَمَّا اختلفَ قولاهما، قال الشاهدُ: إن كان قميصُ يوسف شقَّ من الأمام فصدقت في دعواها أن يوسف راودها، وهو من الكاذبين في دعواه أنها التي راودته، بدليل أنها دافعتُه عن نفسها حتَّى شقَّت قميصه من الأمام.

وإن كان قميصُ يوسف شقَّ من الخلف فكذبت في دعواها أن يوسف راودها، وهو من الصادقين في دعواه أنها التي راودته، بدليل أنه فرَّ منها حين راودته، فاتَّبَعته، وجذبت قميصه حتَّى شقَّته من ورائه.

فلَمَّا رأى زوج المرأة قميصَ يوسف شقَّ من خلف، وتبيَّن له صدقه؛ قال لزوجته: إن هذا الكذب الذي ادَّعَيْته على يوسف من جملة مَكْرُكٍّ وجيلكُنْ - أيُّها النساءُ، إن مَكْرَكُنْ واحتيالَكُنْ عظيمٌ، شديدُ التأثير في النفوس.

وقال العزيرُ ليوسف عليه السَّلامُ: يا يوسف، أعرض عن ذكر ما جرى منها، ولا تُخبر به أحدًا، وقال لامرأته: اطلبي المغفرةَ لذنبك الذي وقع منك، من مُراودةِ يوسف عن نفسه، وخيانةِ زوجك، ثم قَذَفِ يوسف بما هو بريء منه؛ إِنَّكَ كُنْتَ من جملة المتعمدينِ الوقوع في الخطايا.

وقال نساء في مدينة مصر: امرأة العزير ذاتُ القدر الكبير تُراودُ غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى مواقعتها! قد تمكَّن حُبُّ فتاها من قلبها، وبلغ مبلغًا عظيمًا! إنَّا لنرى امرأة العزير في خطإ واضحٍ في مُراودتها فتاها، وحُبِّها له.

فَلَمَّا سَمِعَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ مَقَالََةَ النِّسَاءِ اللَّاتِي تَكَلَّمْنَ عَنْ
مِرَاوِدَتِهَا يَوْسُفَ، وَشِدَّةَ حُبِّهَا لَهُ، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ تَدْعُوهُنَّ إِلَى
بَيْتِهَا؛ لِنُضِيفَهُنَّ، وَهَيَّاتَ لَهُنَّ مَجْلِسًا يَتَكَيَّنَ عَلَيْهِ، مِنَ الْوَسَائِدِ
وَالْفُرُشِ، وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي حَضَرْنَ مَجْلِسَهَا
سِكِّينًا؛ لِنُقَطِّعَ بِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْطِيعِ مِنَ الطَّعَامِ، وَقَالَتْ
لِيَوْسُفَ: اخْرُجْ عَلَى هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ، فَخَرَجَ يَوْسُفُ عَلَيْهِنَّ، فَلَمَّا
رَأَى النِّسَاءُ يَوْسُفَ أَعْظَمْنَ جَمَالَهُ، وَأَجَلَّلْنَ قَدْرَهُ، وَجَرَحْنَ
أَيْدِيَهُنَّ بِالسَّكَاكِينِ، وَهُنَّ يَحْسَبْنَ أَنَّهُنَّ يُقَطِّعْنَ الطَّعَامَ؛ لَدَهْشَتِهِنَّ
بِمَا رَأَيْنَ مِنْ جَمَالِ يَوْسُفَ، وَقَالَتِ النِّسَاءُ: مَعَاذَ اللَّهِ، وَتَنْزِيهِهَا
لَهُ، مَا هَذَا مِنَ الْبَشَرِ، مَا هُوَ إِلَّا مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَرِيمٌ عَلَى
اللَّهِ!

قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لِلنِّسَاءِ: فَهَذَا الَّذِي أَصَابَكُنَّ حِينَ نَظَرْتِ
إِلَيْهِ مَا أَصَابَكُنَّ؛ مِنَ الدَّهْوَلِ وَغِيَابِ الْعَقْلِ، حَتَّى قَطَعْتِ
أَيْدِيَكُنَّ- هُوَ الْفَتَى الَّذِي لُمْتُنِي فِي الْإِفْتِتَانِ بِهِ، وَعَيَّرْتُمُونِي فِي
مِرَاوِدَتِي لَهُ، وَحُبِّي إِيَّاهُ! وَلَقَدْ رَاوَدْتُ يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فَذَعَوْهُ
إِلَى الْفَاحِشَةِ، فَاِمْتَنَعَ، وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ يَوْسُفُ مَا أَمَرُهُ بِهِ لَيُلْقَيْنَّ فِي
السِّجْنِ، وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْأَذَلَّاءِ الْمُهَانِينَ.

قَالَ يَوْسُفُ مُتَضَرِّعًا إِلَى اللَّهِ: يَا رَبِّ، دُخُولِي السِّجْنَ،
وَتَحْمُلُ مَشَاقِقَهُ أَفْضَلُ لَدَيَّ وَأَهْوَنُ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ أَوْلُنَاكَ
النِّسَاءُ مِنْ ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ، وَإِنْ لَمْ تَدْفَعْ عَلَيَّ كَيْدَهُنَّ أَمِلُ إِلَيْهِنَّ
لِضَعْفِي، وَأَتَابِعُهُنَّ عَلَى مَا يُرَدُّنَ مِنِّي، وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ
بِحَقِّكَ، الْمُخَالَفِينَ لِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، فَاعْصِمْنِي، وَلَا تَكُنِّي إِلَى
نَفْسِي.

فاستجاب الله ليوُسُفَ دُعاءه، فدفع عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصوابائها من معصية الله، إِنَّ الله هو السَّمِيعُ لِدُعَاءِ يوسُفَ حينَ دعاه، ويسمَعُ كُلَّ دَاعٍ مِنْ خَلْقِهِ، العَلِيمُ بِمَكْرِ النِّسْوَةِ، وَبِنِيَّةِ يوسُفَ وَحَاجَتِهِ وبما يُصْلِحُهُ، ويعلم جميع أحوال عباده.

ثُمَّ ظَهَرَ للعزيز وأصحابه مِنْ بَعْدِ ما رَأَوْا الأدلَّةَ المُبرِّنةَ لِيوسُفَ أَنَّ المصلحةَ فِي إيداعِهِ السِّجْنَ مدَّةً مِنَ الزَّمنِ.

فَسَجَنُوا يوسُفَ، ودخل معه السِّجْنَ شابَّانِ، قال أَحَدُ الشَّابَّيْنِ لِيوسُفَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَعْصِرُ عِنَبًا، وَقَالَ الشَّابُّ الْآخَرُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَحْمِلُ عَلَى رَأْسِي خُبْزًا تَنْهَشُ الطَّيْرُ مِنْهُ، أَخْبَرْنَا بِتَفْسِيرِ ما رَأَيْنَا فِي مَنَامِنَا، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، فَأَحْسِنْ إِلَيْنَا بِتَعْبِيرِ رُؤْيَانَا.

قال يوسُفُ للشَّابَّيْنِ: لا تَريانِ فِي مَنَامِكِما طَعَامًا يَأْتِيكِما إِلَّا أَخْبَرْتُكِما بِتَعْبِيرِهِ فِي اليَقِظَةِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ، هَذَا العِلْمُ بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَى مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي، إِنِّي تَبَرَّأْتُ مِنْ مِلَّةِ الكُفَّارِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلا يُؤْزِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلا بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَوْمَ الحِسابِ.

وَاتَّبَعْتُ دِينَ آبَائِي الْأَنْبِيَاءِ؛ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الَّذِينَ دَعَوْا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، ما يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَجْعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، ذَلِكَ التَّوْحِيدُ -الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ- مِمَّا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى النَّاسِ الَّذِينَ جَعَلْنَا دُعَاءَهُ لَهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بِتَوْحِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِرُسُلِهِ، بَلْ يُشْرِكُونَ!

قال يوسفُ للشَّابَّيْنِ: يا ساكِنِي السِّجْنِ، أَلِهَةٌ شَتَّى لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ خَيْرٌ، أَمِ الْمَعْبُودُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا ثَانِي لَهُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ، الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ؟! مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا آلِهَةً أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ، وَاعْتَقَدْتُمْ أُلُوهِيَّتَهَا، لَمْ يُنْزَلِ اللَّهُ أَيُّ حُجَّةٍ تَدُلُّ عَلَى تَسْمِيَّتِهَا بِذَلِكَ، وَلَا عَلَى اسْتِحْقَاقِهَا لِلْعِبَادَةِ، مَا الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ، الْمَشْرِعُ لَهُمْ، أَمَرَكَمُ اللَّهُ - أَيُّهَا النَّاسُ جَمِيعًا - أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ذَلِكَ التَّوْحِيدُ وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، هُوَ الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؛ فَهُمْ لَجَهْلِهِمْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ.

قال يوسفُ عليه السَّلَامُ للشَّابَّيْنِ: يا ساكِنِي السِّجْنِ، أَمَّا أَحَدُكُمَا فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ، وَيَسْقِي سَيِّدَهُ الْمَلِكَ خَمْرًا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَيُعْلَقُ عَلَى خَشَبَةٍ، فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ لَحْمِ رَأْسِهِ وَشَحْمِهِ، فُرْعٌ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْ تَعْبِيرِهِ، وَهُوَ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةً.

وقال يوسفُ لصاحِبِهِ الَّذِي تَبَيَّنَ أَنَّهُ سَيَنْجُو مِنَ الْقَتْلِ، وَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ: اذْكُرْنِي عِنْدَ سَيِّدِكَ الْمَلِكِ، وَأَخْبِرْهُ بِأَنِّي مَسْجُونٌ بِلَا ذَنْبٍ، فَانْسَى الشَّيْطَانُ الْفَتَى الَّذِي خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ أَنْ يَذْكُرَ يَوْسُفَ عِنْدَ الْمَلِكِ، كَمَا أَوْصَاهُ بِذَلِكَ، فَمَكَثَ يَوْسُفُ فِي الْحَبْسِ مَظْلُومًا مَنَسِيًّا بَضْعَ سَنِينَ.

وقال مَلِكُ مِصْرَ لْجُلَسَائِهِ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ بِقَرَاتٍ هَزَلَى! وَرَأَيْتُ فِي مَنَامِي سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرَ، وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ أُخْرَى يَابَسَتْ! يَا أَيُّهَا الْأَشْرَافُ، أَخْبِرُونِي بِتَفْسِيرِ رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى عِلْمٍ وَدَرَايَةٍ بِذَلِكَ.

قال الأشراف للملك: رؤياك هذه ليست بشيء، إنما هي
أخلاق أحلام، لا حقيقة لها، وألّسنا على علم بتفسير الأحلام
المختلطة.

وقال الذي نجا من الفتنين اللذين كانا في السجن مع يوسف،
وتذكّر بعد مُدّةٍ من الزمن ما كان من شأن يوسف من علمه
بتعبير الرؤى، وما أوصاه به من ذكر أمره عند سيّده الملك: أنا
أخبركم بتأويل رؤيا الملك، فابعثوني أذهب إلى يوسف
المسجون؛ لأسأله تعبیرها.

فأرسلوه إليه، فقال له: يا يوسف، يا كثير الصدق في أقوالك
وأفعالك، أخبرنا بتعبير رؤيا سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
بقرات هزلى، وسبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات أخرى
يابسة، فسرّ هذه الرؤيا؛ لعلّي أرجع إلى الملك وجلسائه ليعلموا
تعبيرها، ويعلموا علمك وفضلك، فتخرج من السجن.

قال يوسف مُفسِّراً رؤيا الملك: تزرعون سبع سنواتٍ خصبةٍ
متتالعةٍ، على عادتكم في الزراعة، اتركوا محصول زرعكم
في سنبله؛ لئلا يفسد، وكلوا منه قليلاً بقدر حاجتكم، وانّخروا
أكثر محصولكم.

ثمّ يجيء من بعد السنتين السبع الخصبة سبع سنواتٍ شديدةٍ
الجذب، يؤكلُ فيهنّ جميع ما انّخرتم من أجلهنّ من محصول
زرعكم في السنتين السبع الخصبة، إلا قليلاً ممّا تحفظونه
وتدّخرونه.

ثمّ يجيء من بعد سبع السنوات المُجْدبة عامٌ يُمْطِرُ الله فيه
النَّاسَ الأمطارَ الكثيرةَ، وفي ذلك العام يعصرُ النَّاسُ الأعنابَ
والدُّهْنَ وغير ذلك.

وَلَمَّا عَلِمَ الْمَلِكُ بِتَأْوِيلِ رُؤْيَاهُ قَالَ: أَخْرِجُوا الَّذِي عَبَّرَ رُؤْيَايَ
هَذِهِ مِنَ السِّجْنِ، وَأَحْضِرُوهُ إِلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ يُوسُفَ رَسُولُ الْمَلِكِ؛
لِيُخْرِجَهُ مِنَ السِّجْنِ، قَالَ لَهُ يُوسُفُ: ارْجِعْ إِلَى سَيِّدِكَ الْمَلِكِ
فَاسْأَلْهُ مَا شَأْنُ النِّسَاءِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ؛ لِيَعْلَمَ صِحَّةَ بَرَاءَتِي،
إِنَّ اللَّهَ بِمَكْرِ النِّسَاءِ بِي وَبِغَيْرِي مِنَ النَّاسِ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
ذَلِكَ.

فَرَجَعَ رَسُولُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بِرِسَالَةِ يُوسُفَ، فَدَعَا الْمَلِكُ
النِّسَوَةَ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَامْرَأَةَ الْعَزِيزِ، فَقَالَ لَهُنَّ: مَا شَأْنُكُنَّ
وَخَبَرُكُنَّ حِينَ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ؟! قَالَ النِّسَوَةُ لِلْمَلِكِ:
مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ يُوسُفُ مَتَّهَمًا بِسُوءٍ، مَا عَلِمْنَا عَلَى يُوسُفَ مِنْ
ذَنْبٍ صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ! قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ: الْآنَ تَبَيَّنَ الْحَقُّ
وظَهَرَ، أَنَا رَاوَدْتُ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِي
قَوْلِهِ: هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي.

قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ: ذَلِكَ الْإِقْرَارُ وَالاعْتِرَافُ بِالْحَقِّ؛ لِيَعْلَمَ
يُوسُفُ أَنِّي لَمْ أَكْذِبْ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَرْمِهِ بِالذَّنْبِ فِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنِّي،
وَصَدَعْتُ بِالْحَقِّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَدِدُّ حِيلَ مَنْ خَانَ الْأَمَانَاتِ، بَلْ
يُبْطِلُ كَيْدَهُمْ، وَيَحْرِمُهُمُ الْهَدَايَةَ.

ar10112v1.0 - 06/09/2026